قبل ٧٣٨: خطر الساراسينيين في رسالة الأسقف والتبشيري بونيفاس إلى الراهبة بوغة

دانيال ج. كونيغ

دانيال ج. كونيغ، قبل ٧٣٨: خطر الساراسينيين في رسالة بونيفاس إلى الراهبة بوغة، المنشور في: تأريخ العالاقات عبر البحر المتوسط، المجلد ١، العدد ١ (٢٠١٩)، ص ٤٠-٤٥.

DOI: https://doi.org/10.18148/tmh/2019.1.1.3

الملخص: يركز تحليل المصدر على رسالة من الأسقف التبشيري بونيفاس إلى الراهبة بوغة ، والتي يرجع تاريخها إلى ما قبل عام ٧٣٨ بفترة وجيزة. في هذه الرسالة ، ينصح بونيفاس بوغة بتأجيل رحلة الحج إلى رومة حتى ينتهي التهديد الذي تتعرض له المدينة من "الساراسينيين". يضع المقال الرسالة في المراسلات الإضافية بين الشخصين ويسأل كيف تم استقبال التوسع العربي الإسلامي في منطقتهما شمال جبال الألب.

المصدر

Epistolae Bonifatii et Lulli, ed. Michael Tangl (MGH Epp. sel. 1), Berlin: Weidmann, 1916, ep. 27, p. 48.
(الترجمة: رضا حامد قطب سعد)

Dominae dilectissimae et in amore Christi omnibus ceteris feminini sexus preferendae sorori Buggan abbatisse Bonifatius exiguus indignus episcopus aeternam in Christo salutem. Notum sit tibi, soror carissima, de illo consilio, quo me indignum per litteras interrogasti, quod ego tibi iter peregrinum nec interdicere per me nec audenter suadere presumo. Sed, quod visum est, dicam.

يتمنى بونيفاس (Bonifatius) المتواضع وغير المستحق للسيدة المحبوبة والأخت المفضلة على جميع النساء في حب المسيح، رئيسة الدير بوغة (Bugga)، خلاصا أبديا في المسيح. فيما يتعلق بخطتك الذي سألتَ شخصي غير المستحق بخصوصها في رسالتكِ فليكن في علمك أنه لا يمكنني نهيك عن رحلتك للحج من تلقاء نفسي، كما أنه لا جسارة لدي بنصحك للقيام بها. ولكني أريد أن أخبرك بما أراه أمرا جيدا.

Si enim sollicitudinem, quam erga servos Dei et ancillas et monasterialem vitam habuisti, propter adquirendam quietem et contemplationem Dei dimisisti, quomodo debes nunc saecularium hominum verbis et voluntatibus servire cum labore et tediosa sollicitudine? Melius enim mihi videtur, si propter saeculares in patria libertatem quietem mentis habere nullatenus possis, ut per peregrinationem libertatem contemplationis, si volueris et possis, adquiras; quemadmodum soror nostra Uuiethburga faciebat. Quae mihi

إذا كنت قد تخلصت من القلق الذي تحملينه تجاه خدام وخادمات الرب والحياة الرهبانية لتحصلي على الراحة التامة وتكرسي نفسك للتأمل في الرب فكيف لك أن تخضعي في ظل التعب والهم الثقيل لكلمات ورغبات اهل الدنيا (saeculares homines)؟ وإن كنت لا تستطيعين الوصول إلى حرية التدبر الروحي في وطنك بسبب عوّام الناس فأرى أنه من الأفضل أن تحصلي – إن أردتِ واستطعتِ – على هذه الحرية للتحسين الروحي من خلال رحلة الحج كما فعلت أختنا فيتبورغ (Uuiethburga) التي أبلغتني من خلال رسالتها أنها

per suas litteras intimavit, quod talem vitam quietem invenisset iuxta limina sancti Petri, qualem longum tempus desiderando quaesivit.

وجدت على عتبة القديس بطرس سلام الروح التي بحثت عنها بشوق عبر فترة طويلة.

De isto autem tuo desiderio illa mihi mandavit, quia de te ad illam scripsi, ut expectes, donec rebelliones et temptationes et minae Sarracenorum, quae apud Romanos nuper emerserunt, conquieverint et quoad usque illa Deo volente suas litteras invitatorias ad te dirigat. Et hoc mihi optimum videtur esse. Et prepares tibi necessaria itineris et sustineas verbum eius et postea, quod pietas Domini iusserit, facias.

بخصوص طلبك فقد كلفتني هي ردا على سؤالي المرسل بإبلاغك بأنك تنتظرين حتى تهدأ الاضطرابات والغزوات والتهديدات التي يسببها الساراسينيون، التي يواجهها الرومان (هنا: سكان مدينة رومة) منذ فترة قصيرة، وحتى ترسل لك الدعوة بمشيئة الرب. ويبدو لي أنه من الأفضل لك أن تقومي بكافة الاستعدادات وأن تنتظري دعوتها ثم تفعلي ما يعني لك حب الرب.

التأليف والعمل

[١] ولد الأسقف التبشيري بونيفاس عام ٦٧٢ أو ٦٧٥ باسم وينفريد (Winfrid) بالقرب من مدينة إكستر (Exeter) والتحق وهو طفل بالدير بنفس المدينة، وانتقل بعد مدة وجيزة منه إلى دير نورسلينغ (Nursling) في وينتشستر (Winchester). بعد حصوله على رتبة كاهن عام ٧٠٠ تقريبا قرر عام ٧١٦ الحياة في الغربة لأسباب دينية أو التجوّل في الأرض لقصد التعبّد و التبشير (peregrinatio) تبعا للطريقة الأنجلوسكسونية، كما فعله كثير من رجال الدين الأنجلوسكسونيين، وبدأ أنشطته التبشيرية في القارة الأوروبية. بعد بداية فاشلة في منطقة فريزيا عاد رئيسا للدير بنورسلينغ ثم أعفاه الأسقف المسئول عام ٧١٨ من منصبه ليتفرغ للحياة في الغربة لأسباب دينية مرة أخرى، بعد ذلك تلقى بناء على طلبه في مطلع عام ٧١٩ من البابا غريغوري الثاني (في المنصب ٧١٥ إلى ٧٣١) أمرا بابويا للتبشير، فقام بالتبشير أولا في تورينغن (Thüringen)، ثم في فريزيا تحت إمرة فيليبرورد (Willibrord)، وبداية من عام ٧٢١ في هسن (Hessen). وقد قام، مدعوما بمنصب الأسقف منذ عام ٧٢٢،[1] وبعدها بكتاب أمان عام ٧٢٣ أو ٧٢٤ الذي منحه إياه شارل مارتيل (حكمه ٧١٨ إلى ٧٤١)،[2] بنشر المسيحية في ظل حماية بابوية وحماية من جهة الكارولنجيين فيما يعرف اليوم بوسط ألمانيا،[3] وهو ما وصل إلى ذروته بقطع ما يسمى بشجرة "بلوط دونر" (المخصصة للإله الجرماني ثور أو دونر) بجايسمار (Geismar) حوالي عام ٧٢٣. وقد اتضح الدعم البابوي والكارولنجي عام ٧٣٢ في حصوله على منصب المطران، وفي عام ٧٣٧ أو ٧٣٨ على منصب رسول بابوي (legatus)، بالإضافة إلى حصوله عام ٧٤٢ أو ٧٤٣ على كتاب أمان الذي أصدره كارلومان (Carlomannus ، حكمه ٧٤١ إلى ٧٤٧).[4] وقد أكدت الحولية المنسوبة للمؤلف أينهارد (Annales qui dicuntur Einhardi) من بين مصادر أخرى على قربه من الكارولينجيين، التي تقول بأن بونيفاس قد قام عام ٧٥١ في سياق عزل الكارولنجيين لآخر ملك من ملوك الميروفينجيين بطقوس مسحة الزيت للملك بيبان (Pippinus) وأبنائه (أسوة بالنبي صموئيل الذي مسح داوود

[1] *Epistolae Bonifatii et Lulli*, ed. Tangl (MGH Epp. sel. 1), ep. 12, pp. 17–18.
[2] *Epistolae Bonifatii et Lulli*, ed. Tangl (MGH Epp. sel. 1), ep. 12, pp.17–18.
[3] Willibald, *Vita Bonifatii*, ed. Levison (MGH Script. rer. Germ. in us. schol. 57), cap. 6, pp. 28–32.
[4] Wagner, Schutzbrief, pp. 99–108.

وملكه في العهد القديم)،[5] وهو قول كان محل شك كبير من الناحية العلمية.[6] في هذا الوقت قرر بونيفاس معاودة نشاطه التبشيري لدى الفريزيين حيث قتل عام ٧٥٤ بالقرب من مدينة دوكوم (Dokkum).[7]

[٢] يُصنف بونيفاس في بين أعضاء الموجة الثانية من المبشرين من الجزر البريطانية إلى مملكة الإفرنج في البر الأوروبي: وهي البعثة الأنجلوسكسونية التي واصلت الأنشطة التبشيرية لما يسمى بالبعثة الهايبرنية الأسكتلندية، والتي لم تساهم بشدة في تنصير المناطق الريفية في وسط الإفرنج فحسب، بل شملت مناطق جديدة واقعة في المحيط الشرقي لنطاق الحكم الإفرنجي.[8] يثبت كونه ذا أصول تعود للجزر البريطانية من خلال مراسلاته مع الملك الأنجلوسكسوني إيثيلبيرت الثاني (Æðelberht)، ملك لمملكة كينت (حكمه ٧٢٥ إلى ٧٦٢)، وكذلك مع الإكليروس الأنجلوسكسوني، ومنهم رئيسة الدير بوغة.

المحتويات والإطار التاريخي للمصدر

[٣] يُعتبر الخطاب المقتبس هنا واحدا من سلسة مراسلات تحتوي على ثلاثة أو أربعة خطابات بين بوغة وبونيفاس تأكد مضمونها من خلال خطابات أخرى من البيئة المحيطة ببونيفاس.

[٤] بعض الباحثات تساوين بوغة بسيدة تدعى هيبورغ (Heaburg) كانت أمها هي رئيسة الدير أنغِث (Eangyth) التي أرسلت أيضا خطابا إلى بونيفاس باسم ابنتها. ولأنه لا يوجد أي إشارة أخرى إلى العلاقة بين أنغِث وبوغة التي كتب إليها بونيفاس فلا يمكن إصدار حكم باتٍّ هنا،[9] فأول خطاب مباشر منقول يعود إلى العام ٧٢٠، تتوجه فيه بوغة إلى بونيفاس لتطلب منه الدعاء وكتبا مقدسة وتعده بخصوص النسخة المطلوبة من قصص شهداء مسيحين وترسل له ٥٠ صوليدوس (solidi ، عملة ذهبية) وكذلك غطاءً للمذبح. كان من بين ما تذكره في إطار هذا الخطاب أنشطة بونيفاس التبشيرية بمنطقة فريزيا ورادبود (Radbod) وهو دوق الفريزيين.[10] ويؤرخ ميشائيل تانغل (Michael Tangl) الخطاب المقتبس هنا قبيل عام ٧٣٨. فيفترض أن يكون قد سبقه طلبا من بوغة، المفقود الآن، به تفاصيل خطط رحلتها إلى رومة.[11] وقد أرسل بونيفاس خطابا إلى بوغة لتهدئة خاطرها إما قبل هذا الطلب المفقود أو بعده، ذكر فيه كما ورد في الخطاب المقتبس هنا حاجة بوغة إلى الهدوء وتركها لمنصبها كرئيسة للدير.[12] بناء على إشاراته المتكررة إلى انقضاء فترة شبابها وإلى "مرحلتها العمرية الجيدة" يرتبط هذا الخطاب على الأحرى بوقت لاحق حيث لا يمكن الرد بوضوح على السؤال: هل كُتب هذا الخطاب قبل رحلة بوغة إلى رومة أم بعدها.[13] وأخيرا يرد ذكر بوغة في خطاب يعود لملك مملكة كينت (Kent)، إيثيلبيرت الثاني، كُتب بين عامي ٧٤٨ و٧٥٤. يذكر الملك في هذا الخطاب رحلة بوغة إلى رومة ولقاءها مع بونيفاس عند مقابر تلاميذ المسيح وكذلك عودتها إلى الدير الذي كانت قبلها رئيسة له.[14] وأخيرا يأتي ذكر بوغة التي يفترض أنها

[5] *Annales regni Francorum*, ed. Pertz, Kurze (MGH SS rer. Germ. in us. schol. 6), a. 750, 754, pp. 9, 12.
[6] Schneider, Königserhebung Pippins, pp. 255–256.
[7] *Annales regni Francorum*, ed. Pertz, Kurze (MGH SS rer. Germ. in us. schol. 6), a. 750, 754, pp. 9, 12.
[8] Padberg, *Christianisierung*, pp. 81–88, 198–200, 202–204, 243–245; Fletcher, *Conversion of Europe*, pp. 204–216, 229–243, 277–283.
[9] *Epistolae Bonifatii et Lulli*, ed. Tangl (MGH Epp. sel. 1), ep. 14, pp. 21–26; Eckenstein, *Woman*, p. 131; Duckett, *Anglo-Saxon Saints*, p. 371, FN 55; Schulenburg, *Forgetful of Their Sex*, p. 333.
[10] *Epistolae Bonifatii et Lulli*, ed. Tangl (MGH Epp. sel. 1), ep. 15, pp. 26–28; *Briefe des Heiligen Bonifatius*, trans. Tangl, Letter 15, pp. 8–10.
[11] Tangl, Studien, p. 746.
[12] Goetz, Frauen, pp. 375–379.
[13] *Epistolae Bonifatii et Lulli*, ed. Tangl (MGH Epp. sel. 1), ep. 94, pp. 214–215; *Briefe des Heiligen Bonifatius*, trans. Tangl, Letter 94, pp. 212–213.
[14] *Epistolae Bonifatii et Lulli*, ed. Tangl (MGH Epp. sel. 1), ep. 105, pp. 229–231; *Briefe des Heiligen Bonifatius*, trans. Tangl, Letter 105, pp. 218–219.

كان قد تقدم بها العمر أثناء إقامتها برومة حوالي عام ٧٣٧ في خطاب كتبه بين عامي ٧٥٩ و ٧٦٥ رئيس الأساقفة برجوين الكانتربيري (في المنصب ٧٥٩ إلى ٧٦٥) الذي أخبر لول (Lullus)، رفيق بونيفاس، عن وفاتها.[15]

[٥] يمكن بذلك تعريف بوغة بأنها رئيسة دير سابقة لأحد الأديرة بكينت، كانت لها علاقة بالبلاط الملكي ولذلك كانت تعيش رفاهية معينة تسمح لها بنسخ المخطوطات المتاحة وإرسال هدايا إلى بونيفاس.[16] وقد اكتسبت بوغة ثقة بونيفاس التامة، على خلاف راهبات مرسومات أخريات من المنطقة الأنجلوسكسونية انتقد بونيفاس أسلوب حياتهن السائبة أثناء رحلتهن للحج إلى رومة في خطاب كتبه إلى الأسقف كوثبيرت الكانتربيري (في المنصب ٧٤١ إلى ٧٥٨).[17]

ربط السياق والتحليل والتفسير

[٦] يشير المصدر المقتبس إلى مدى تلقي أخبار التوسع العربي الإسلامي في منطقة البحر المتوسط في المناطق الأوروبية شمال جبال الألب، أي في مناطق أنشطة بونيفاس التبشيرية في فريزيا وهسن، وكذلك في منطقة كينت الأنجلوسكسونية.[18] وقد وُصِف الساراسينيون هنا بكونهم خطر محتمل للحجاج إلى رومة وبكونهم تهديدا مؤقتا حاليا لإيطاليا أصاب الرومان – لعل المقصود بهم سكان مدينة رومة. ومن غير مؤكد إلى أي مدى يطابق ذلك للواقع، فصحيح أنه كان هناك أسطول للمسلمين في منطقة البحر المتوسط منذ القرن السابع الميلادي، إلا أن أنشطة الغارات الحربية على سواحل إيطاليا في القرن الثامن سجل عنها القليل، بخلاف القرن التاسع عندما حدث الغزو الإسلامي لصقلية وحدث نهب رومة عام ٨٤٦.[19] علينا كذلك أن نتساءل عن مدى معرفة بونيفاس فعليا بفتوحات المسلمين. ففي خطاب يؤرخ بعام ٧٤٥ أو ٧٤٦ إلى إيثيلبالد (Æthelbald of Mercia) ملك مرسيا (حكمه ٧١٦ إلى ٧٥٧) وصف بونيفاس غارات المسلمين بأنها عقوبة إلهية على الزِنا وبُعد الإسبانيين والبروفنسيين والبرغنديين عن الله،[20] إشارة إلى الغزو الإسلامي لشبه الجزيرة الإيبيرية عام ٧١١ واحتلالهم لمنطقة أربونة في الأعوام ٧١٩ إلى ٧٢٠ التي دامت حتى عام ٧٥٩ تقريبا.[21]

(الترجمة: رضا حامد قطب سعد)

اصدارات المصدر المحققة وترجماتها

Epistolae Bonifatii et Lulli, ed. Michael Tangl (MGH Epp. sel. 1), Berlin: Weidmann, 1916, ep. 27, p. 48.

---

[15] *Epistolae Bonifatii et Lulli*, ed. Tangl (MGH Epp. sel. 1), ep. 117, p. 253; Eckenstein, *Woman*, p. 133.

[16] من المشكوك فيه ما إذا كانت المقالة التالية تتحدث عن نفس الشخص، الذي يؤرخ تاريخ وفاة إيدبورغة (Eadburga) أو بوغة (Bugga) إلى ٧٥١، أي إلى الوقت قبل وفاة بونيفاس: (Farmer, Edburga, p. 134).

[17] *Epistolae Bonifatii et Lulli*, ed. Tangl (MGH Epp. sel. 1), ep. 78, p. 169; Eckenstein, *Woman*, p. 133; Watt, Fragmentary Archive, p. 425.

[18] Becket, *Anglo-Saxon Perceptions*, p. 165.

[19] تذكر الدراسة التالية بعض الغارات للمسلمين على صقلية قبل العام ٧٥٢: (Guichard, Les débuts, pp. 57–58).

[20] *Epistolae Bonifatii et Lulli*, ed. Tangl (MGH Epp. sel. 1), ep. 73, p. 151: „Sicut aliis gentibus Hispaniae et Prouinciae et Burgundionum populis contigit; quae sic a Deo recedentes fornicatae sunt, donec iudex omnipotens talium criminum ultrices poenas per ignorantiam legis Dei et per Sarracenos uenire et saeuire permisit.“

[21] Sénac, *Les Carolingiens et al-Andalus*, pp. 16–17, 37–40; Kalkbrenner, 719-759: Das Chronicon Anianense.

Die Briefe des Heiligen Bonifatius, trans. Michael Tangl (Geschichtsschreiber der deutschen Vorzeit 2, vol. 92), Leipzig, Dyk, 1912, letter 27, pp. 35–36.

Eckenstein, Lina: *Woman under Monasticism: Chapters on Saint-Lore and Convent Life between A.D. 500 and A.D. 1500*, Cambridge: CUP, 1896, pp. 132–133.

Emerton, Ephraim: *The Letters of Saint Boniface*, New York: Columbia University Press, 1940, ND 2000, pp. 34–35, URL: https://epistolae.ctl.columbia.edu/letter/342.html.

المصادر المقتبسة

Annales regni Francorum inde a. 741 usque ad 829, qui dicuntur Annales Laurissenses maiores et Einhardi, ed. Georg H. Pertz, Friedrich Kurze (MGH SS rer. Germ. in us. schol. 6), Hannover: Hahn, 1895.

Epistolae Bonifatii et Lulli, ed. Michael Tangl (MGH Epp. sel. 1), Berlin: Weidmann, 1916, ep. 12, pp. 17–18; ep. 14, pp. 21–26; ep. 15, pp. 26–28; ep. 22, pp. 36–38; ep. 73, p. 151; ep. 78, p. 169; ep. 94, pp. 214–215; ep. 105, pp. 229–231; ep. 117, p. 253.

Willibald, *Vita Bonifatii*, ed. Wilhelm Levison (MGH Script. rer. Germ. in us. schol. 57), Hannover: Hahn, 1905.

المراجع المقتبسة والتفصيلية

Becket, Katharine Scarfe: *Anglo-Saxon Perceptions of the Islamic World*, Cambridge: CUP, 2003.

Duckett, Eleanor S.: *Anglo-Saxon Saints and Scholars*, New York: Macmillan, 1947.

Eckenstein, Lina: *Woman under Monasticism: Chapters on Saint-Lore and Convent Life between A.D. 500 and A.D. 1500*, Cambridge: CUP, 1896.

Farmer, David Hugh: Edburga (Eadburh, Bugga) of Minster (d. 751), in: David Hugh Farmer (Ed.), *Oxford Dictionary of Saints*, Oxford: OUP, 2011, p. 134.

Fletcher, Richard: *The Conversion of Europe: From Paganism to Christianity 371–1386 AD*, London: Fontana Press, 1998.

Goetz, Hans-Werner: *Frauen im frühen Mittelalter. Frauenbild und Frauenleben im Frankenreich*, Köln: Böhlau, 1995.

Guichard, Pierre: Les débuts de la piraterie andalouse en Méditerranée occidentale (798–813), in: *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée* 35 (1983), pp. 55–76.

Kalkbrenner, Till: 719-759: Das Chronicon Anianense zu Beginn und Ende muslimischer Herrschaft über Septimanien, in: *Transmediterrane Geschichte* 2.2 (2020).

Padberg, Lutz von: *Die Christianisierung Europas im Mittelalter*, Stuttgart: Reclam, 1998.

Schneider, Olaf: Die Königserhebung Pippins 751 in der Erinnerung der karolingischen Quellen: Die Glaubwürdigkeit der Reichsannalen und die Verformung der Vergangenheit, in: Matthias Becher, Jörg Jarnut (eds), *Der Dynastiewechsel von 751: Vorgeschichte, Legitimationsstrategien und Erinnerung*, Münster: Scriptorium, 2004, pp. 243–275.

Schulenburg, Jane T.: *Forgetful of Their Sex*, Chicago: University of Chicago Press, 1998.

Semmler, Josef: Bonifatius (Winfrid), I. Leben und Wirken, in: *Lexikon des Mittelalters* 2 (1983), cols 417–420.

Sénac, Philippe: *Les Carolingiens et al-Andalus,* Paris: Maisonneuve et Larose, 2002.

Tangl, Michael: Studien zur Neuausgabe der Bonifatius-Briefe (I. Teil.), in: *Neues Archiv der Gesellschaft für Ältere Geschichtskunde* 40 (1916), pp. 639–790.

Wagner, Heinrich: Ein Schutzbrief des Hausmeiers Karlmann für Bonifatius, in: *Deutsches Archiv für die Erforschung des Mittelalters* 67 (2011), pp. 99–108.

Watt, Diane: A Fragmentary Archive: Migratory Feelings in Early Anglo-Saxon Women's Letters, in: *Journal of Homosexuality* 64/3 (2017), pp. 415–429.